# تصوير علم المعاني لقبيح عمل المعاصي
# في القرآن الكريم

إعداد

الدكتور عبد الرحمن محمد رضوان حرش

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة إسطنبول شهير– تركيا

**المقدمة:**

لا شك أن الله تعالى لم يأمر إلا بحكمة ولحكمة، ونهى لحكم عظيمة فأتبع النهي بما يعين النفس على تجنب النواهي فتكون المنهيات بغيضة شرعًا ونفسًا، وتكون الدوافع إلى اجتنابها أعلى فيعرف العبد الأمر وحكمة الآمر، وأساليب التنفير متعددة، ومما وقفت عليه منها ما كان من خلال علم المعاني بفروعه المتعددة، لذا كان لا بد من تناول هذه الأساليب وتطبيقاتها القرآنية.

ولأن العلم يسبق العمل كما سبقت اللام الميم فلا بد من معرفة علم المعاني لاجتناب عمل المعاصي.

**أسئلة البحث:**

حاول البحث جاهدًا أن يجيب على عدد من الأسئلة وهي:

١- كيف يمكن أن تكون العلاقة بين علم المعاني والتفسير؟

٢- ما هو دور علم المعاني في تصوير قبيح المعاصي؟

٣- ما هي فروع علم المعاني التي أسهمت في بيان صورة التقبيح؟

**أهداف البحث**

١. بيان العلاقة الوثقى بين علمي المعاني وتفسير القرآن العظيم.

٢. بيان دور علم المعاني في توضيح وتقبيح الصورة المرادة، وهو دور لا يقل قيمة عن دور علم البيان، وإن كان علم البيان أوفر حظًا في مثل هذه الدراسات.

٣. بيان أن عددًا من فروع علم المعاني كانت ذات أثر واضح في التقبيح وليس فرعًا واحدًا.

**مشكلة البحث:**

أن تكون ثمة مسألة ما محفودة محشودة في كتب المفسرين ثم لا يتم التطرق إليها بشكل وافٍ بحسب معلومات الباحث أمر يدعو إلى أن يعاد النظر في تلك المسألة لتولى العناية الكافية، ولا سيما والأمر متعلق بعلم من علوم الإعجاز البلاغي، وبالنسبة للباحث فإن هذا

العلم وهو علم المعاني من أجلّ العلوم التي يجب التوقف عندها لإبراز الصورة القرآنية من خلالها، وهو باب من العلوم لو فتح مجال التطبيق فيه على النصوص على مصراعيه لوجدت فيه كنوز عظيمة تستحق التنقيب عنها، وكشف اللثام عن وجهها، فإن هذا العلم لا يكاد يغادر لفظة من القرآن إلا وينبّه على أن فيها شيئًا بديعًا لو أن الباحث قلّبها على وجوهها، وكان متمكنًا من معرفة تلك العلاقة الوشيجة بين علم النحو وعلم البلاغة، وما تبغيه العرب من كلامها حينما تقدم وتؤخر وتطنب وتكرر وتذكر وتحذف وهي من وراء ذلك كله تصور ما تصور، فإذا ما خلص الباحث إلى تلك الصورة عرف منها بعض مرادات الله في تلك المسألة، وإذا كانت المسألة هنا تتعلق بالتقبيح فإنه -بلا ريب- لو اجتهد مجتهد في مسألة أخرى من المسائل لوجد في كتاب الله ما يصورها إن كانت تلك المسألة مما يتفق مع ضوابط الدين وأصوله.

ولا بد أولًا من استحضار النصوص التي يبغي الباحث الوقوف عندها، ثم الوقوف على أقوال الأئمة فيها لفهمها ثم فهم هذه الظاهرة عمومًا لتصبح هاديًا للباحث للنظر في مسائل أخرى شبيهة بها أو نظيرة لها، ومن ثم يتسنى للباحثين البحث عن فوائد أخرى تطبيقية في علم المعاني تضيف إلى المكتبة البلاغية والقرآنية إضافة حميدة.

**أهمية البحث:**

أسلوب التقبيح أسلوب قرآني نبه عليه المفسرون ولم يفرده المصنفون بالتأليف، وأنواع علم المعاني متعددة مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف ، والتكرار، والإضمار، والخبر والإنشاء، ومنها ما نص المفسرون على أن من أغراضه التقبيح، وكان من اللازم أن تطبق هذه النظريات على بعض النصوص القرآنية لنرى طرائق القرآن في تعبيره عن قبح المعاصي، ومن خلال هذا البحث سأوضح هذه المعاني مع تطبيق صور القرآن عليها، كما سأناقش بعض المسائل فيها مقسمًا البحث إلى تمهيد وستة مباحث تشتمل على ما وقعت عليه من فروع لعلم المعاني تجلى فيها تصوير القبيح، إلى أن ينتهي المطاف بخاتمة نسأل الله حسنها.

**أسباب اختيار البحث:**

- أن الاتجاه السائد في أمثال هذه الدراسات هو دراسات في علم البيان، إذ يتبادر

إلى الذهن أن هذا اللون لا يظهر إلا من خلال التشبيهات والاستعارات والكنايات، فأحببت أن أميط اللثام عن دور علم المعاني في التصوير.

– أن التقبيح معنى نص عليه المتقدمون ولم يأخذ حظه من الدراسة الكافية، ولا ريب أن تنبيهات المتقدمين على أمر يبدو من خلاله أن هنالك معنى راسخًا في أذهانهم ينتظر من يكشف الحجاب عنه، ومما يحمد للبحث العلمي أن يكون التصنيف عن طريق جمع ما تفتقت عنه أذهان المفسرين والمؤلفين عمومًا جزءًا من الدراسات الأكاديمية ليكون هذا وصلًا بين ذهنية المتقدمين وتحرير المتأخرين.

**الدراسات السابقة :**

بعد الرجوع إلى المكتبة الوطنية بدمشق، والمكتبة الظاهرية، والجامعات السورية، ومواقع الشابكة العنكبوتية، لم أعثر على رسالة علمية مسجلة في الموضوع، ولا على كتاب مستقل برأسه في هذا الفن، سوى أن كتب البلاغة عمومًا تضع هذا العلم ثالث ثلاثة في علوم البلاغة، وتضع التقبيح كغاية بلاغية موضعها من فروع علم البيان في مقاصد التشبيه، كما لا يخلو من الحديث عن أصل هذا الفن البلاغي وفروعه كتابٌ بلاغي إذ هو قسيم ثلاثة كما أسلفت، إلا أن عدّ التقبيح فرعًا من فروع معاني علم المعاني هو ما وجدته مبثوثًا في كتب التفسير البلاغي ولا سيما عند الزمخشري وأبي السعود والرازي وابن عاشور، وهم من أهم مصادر البحث، بل قد جعلتهم المصدر الأساسي ومنهم انطلقت إلى جمع المادة من كتبهم، فقد كاد يتبين لي من عباراتهم أن المسألة شديدة الوضوح في أذهانهم، فإن التعبير عنه في كتبهم كان مباشرًا بالنص عليه في عدة مواضع كما هو واضح في الإحالات لهذا البحث، وهذا ما دفع الباحث للوقوف عند المسألة من كتب التفسير وتتبعها، بعد أن استغرق في جمع الأمثلة من تلك الكتب عدة أشهر حتى بلغت مبلغًا عظيمًا، ولم يعثر على مثيل لها إلا ما كان من مبحث الالتفات حيث تمت الإشارة إلى مقالة تحولات الأفعال في السياق القرآني للدكتور عبد الله الهتاري.

**صعوبات البحث:**

بفضل من الله تمّ إنجاز هذا البحث على الرغم من بعض الصعوبات، وكان من أبرز الصعوبات المتعلقة بالبحث:

- طبيعة علم المعاني التي تتطلب الوقوف على خبايا المباني للوصول إلى خفي المعاني، ولا يكون هذا إلا بتتبع قواعد التدبر الأمثل لفهم سمت الكلام الأول ثم الانتقال منه لفهم النص القرآني.

- خشية الباحث في إعجاز القرآن كخشية الباحث في التفسير: أن يزيد معنى غير مراد لله تعالى أو ينقص معنى هو مراد لله تعالى، فيبقى الوقوف عند كل مسألة والبحث عن إمام له فيها أمر لا بد منه.

- تفرق المادة العلمية بين علوم مختلفة، مما ينتج عنه صعوبة الجمع والتمحيص؛ فبعضها في علم التفسير، وبعضها في علم العقيدة، ولا يجمعها في الأصل جامع لذا عمد الباحث إلى المطولات من كتب التفسير، واستعرض بعض المطولات استعراضًا أباح له الاختيار منها ما يلائم بحثه.

- عدم وجود دراسات علمية سابقة تخص موضوع البحث بعينه؛ لذا بذلت جهدًا في استخراج المادة العلمية من بين ثنايا الكتب والتفاسير.

**منهج البحث:**

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي الاستنباطي التحليلي لبعض الآيات الكريمة.

**حدود البحث:**

حدود البحث هو الآيات المتعلقة بعمل المعاصي، والتي توصل الباحث من خلال دراستها إلى أن المعنى الذي تحمله الآيات هو التقبيح، وذلك من خلال ما نص عليه أئمة التفسير.

**هيكل البحث:**

ويتضمن هذا البحث مقدمة وستة مباحث وخاتمة وأهم النتائج والمصادر والمعارج.

- المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، ومشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وإجراءاته، وصعوباته، وهبكل البحث وهو:

- تمهيد: حول علاقة علم المعاني بعلم التفسير.

- المبحث الأول: كيفية تصوير الخبر والإنشاء للقبيح.
- المبحث الثاني: الإطناب وتصويره للقبيح.
- المبحث الثالث: علاقة التقديم والتأخير بتصوير القبيح.
- المبحث الرابع: كيفية تصوير الحصر والقصر للقبيح.
- المبحث الخامس: الالتفات ودوره في تصوير القبيح.
- المبحث السادس: دور الحذف والذكر في تصوير القبيح
- **الخاتمة** : وفيها ذكر أهم نتائج وتوصيات البحث.

**ثم الفهارس**: فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

**تمهيد:**

علم البلاغة ببيانه ومعانيه وبديعه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم التفسير [١] بل لم يكن هنالك علم اسمه البلاغة إلا تحت عنوان إعجاز القرآن، ولا سيما علم المعاني الذي لا يحق لامرئ أن يتكلم في التفسير وهو في هذا العلم وعلم البيان راجل! .

فإن فهم الكلمة وتدبرها من خلال ضوابط علم المعاني يجعلها مصورة في الذهن تصويرًا لا يقل جمالًا عن التصوير الذي تهبه علوم البيان والبديع لذائقيها.

وعلم المعاني هو نوع من أنواع علم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة والتحليل، فهو «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال» [٢].

وما يميز هذا النوع ارتباطه بالنظام النحوي، فإن «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»[٣].

وسنرى في أثناء البحث أثر ابن جني الذي عرف البلاغة وأنواع الدلالات والقلب والإيجاز والإطناب والحذف والزيادة والتقديم والتأخير، وسر التعبير بالمضارع مع إرادة معنى الماضي ، والعكس، وسر التعبير بالجملة الاسمية دون الجملة الفعلية وغير ذلك[٤].

ولاشك أن جهود المتقدمين من الخليل وسيبويه والجاحظ وابن جني قد وجدت نفسها ممثلة في فكر عبد القاهر الذي ابتدع من ذلك كله نظرية جديدة هي نظرية النظم التي تقوم على تحليل علم المعاني على أساس التركيب النحوي، «وهل تجد أحدًا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها»[٥]، «وأمر النظم في أنه ليس شيئًا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم

(١) فقد كان التفتازاني –رحمه الله– مثلًا عالما بالنحو والصرف والمنطق والبلاغة والأصول والتفسير. ينظر بغية الوعاة ١/ ٣٩١ ، ومعجم المطبوعات العربية ١/ ٦٣٥ – ٦٣٨ .

(٢) ينظر: «خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني»: ٤٢.

(٣)«الحيوان: ٣/١٣١ – ١٣٢»، ودلائل الإعجاز: ١٩٨.

(٤) ينظر «أثر النحاة في البحث البلاغي»: ٢٧٦ – ٣٣٧.

(٥)«دلائل الإعجاز»: ٣٦.

وأنك ترتب المعاني أولًا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»(١).

وعلى هذا فلا بد من العناية بهذا الارتباط الوثيق الذي أوجد نفسه بقوة في الدراسات اللغوية والبلاغية لتطبيقه على مقاصد القرآن الكريم، وهو ما سيقوم به هذا البحث -إن شاء الله -(٢).

وفي علم المعاني تغدو أرضية النص خصبة ترتع فيها أفانين من هذا الفن لتشكيل الصورة المرادة، ولا بد من الكشف عنها، وتبعًا للتقسيمات المتَّبعة في هذا الفن؛ فإني أبدأ ذلك بمبحث الخبر والإنشاء.

* * *

## المبحث الأول: كيفية تصوير الخبر والإنشاء للقبيح

### المطلب الأول: الخبر:

الخبر قسيم الإنشاء وهو في تعريف البلاغيين: (**ما يحتمل الصدق والكذب لذاته واحتمال الخبر للصدق والكذب إنما يكون بالنظر إلى مفهوم الكلام الخبريّ ذاته دون النظر إلى المُخبر أو الواقع؛ فإن من الأخبار ما هو مقطوع بصدقه لا يحتمل كذبًا،ككلام الله تعالى)٣، والمعاني التي يحتملها لفظ الخبر كثيرة ذكرها ابن فارس – رحمه الله– ولم ينص فيها على التقبيح(٤)، على أن التقبيح في كلام المفسرين هو معنى من هذه المعاني، والذي فسر به بعض المواضع في القرآن وقد جاء عليه مواضع في القرآن منها هذان الموضوعان وهما: تقبيح اللواط والزنا** حيث استخدم القرآن عدة أساليب بلاغية لتقبيح هذه الفعلة الشنيعة وذلك بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

وهذه الفعلة الشنيعة النكراء يستغرب من الناس الوقوع بها بله التلذذ بها، ولذلك يسوق الأسلوب القرآني عدة طرائق بلاغية في تقبيحها، وقد نص في كتب التفسير على أن الغاية من هذه الطرائق هي التقبيح، فمن هذه الطرائق تحليته الجملة بحرفي التأكيد﴿أَئِنَّكُمْ﴾

---

(١) «دلائل الإعجاز»: ٤٠٠ .

(٢) ويؤكد بهاء الدين السبكي (٧٧٣) علاقة اللغة والنحو بالبلاغة عندما يقول : (( وعلم المعاني غالبًا من النحو ... كما أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وان كان مستقلًا بنفسه...)(٢) ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٥١-٥٢ .

٣ علم المعاني د. عبدالعزيز عتيق ص٤٨ .

**(٤) «الصاحبي» ص١٣٣-١٣٤.**

(للإيذان بأن مضمونها مما لا يصدِّق وقوعه أحدٌ **لكمال شناعته**، وإيراد المفعول بعنوان الرجولية دون الذكورية؛ **لتربيته التقبيح**، وبيان اختصاصه ببني آدم، وتعليل الإتيان بالشهوة **تقبيح على تقبيح**؛ لما أنها ليست في محلها)[١].

وهذه الفاحشة التي حرمت أشد تحريم قد قبحت كما قبح مثيلاتها من الفواحش حيث يأتي **تقبيح أمر الزاني أشد تقبيح** [٢] في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]. (فقوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ﴾ **خبرٌ مراد منه: لا يليق به أن ينكح**، كما تقول: السلطان لا يكذب؛ أي: لا يليق به أن يكذب، نزل فيه لياقة الفعل منزلة عدمه، وهو كثير في الكلام، **ثم المراد اللياقة وعدم اللياقة من حيث الزنى، فيكون فيه تقبيح الزنى ما فيه**)[٣].

فكأنه قيل: الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما، والزانية لا يرغب في نكاحها إلا أحدهما، لذلك يحذر القرآن من الاتساء بهما (فقد جاءت الجملة الأولى مبينة أن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة مع أن مناط التنفير هي الجملة الثانية؛ وهي أن الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وذلك إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن، أو **لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير**، وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة؛ للتنبيه على أن **مناط الزجر والتنفير هو الزنى لا مجرد الإشراك، وإنما تعرض لها في الأولى إشباعًا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة**)[٤].

وفي هذا النص كما رأينا كان للخبر دور في تقبيح معصية من أكثر المعاصي إفسادًا

---

(١) «روح المعاني» (٢١٦/١٩)، وينظر «إرشاد العقل السليم» (٢٩٢/٦). وفي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»: (**ثم أتبع الإنكار إنكارًا آخر لمضمون جملة مؤكدة أتم التأكيد؛ إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعي الواصف، ولا يبلغ كُنْه قبحها، ولا يصدق ذو عقل أن أحدًا يفعلها**، فقال معيّنًا لما أبهم: ﴿أئنكم لتأتون﴾ وقال: ﴿الرجال﴾ تنبيهًا على بعدهم عما يأتونه إليهم، ثم علله بقوله: ﴿شهوة﴾ ؛ **إنزالًا لهم إلى رتبة البهائم التي ليس لها قصد ولد ولا عفاف**) «نظم الدرر» (٤٣٣/٥).

(٢) «روح المعاني» (٨٤/١٨).

(٣) «روح المعاني» (٨٤/١٨).

(٤) «إرشاد العقل السليم» (١٥٦/٦).

للمجتمع، بطريقة بلاغية بديعة.

### المطلب الثاني: الإنشاء:

**وأما الإنشاء الذي هو قسيم الخبر، فهو (الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته)[1]، ويعبر عنه البلاغيون بقولهم: (هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه)[2]. وهو قسمان طلبي وغير طلبي، فمن الطلبي الذي جاء للتقبيح: الاستفهام.**

ويتحدث ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في مواضع شتى من كتابيه «الخصائص» و«المحتسب»[(٣)] عن الاستفهام، ويذكر أن من مقاصد الاستفهام: الإنكار، والنفي، والتوبيخ، **والتقبيح**، والتهكم كما في «المحتسب»[(٤)]، وذكر في «الخصائص»: الإخبار، والتقرير، والوعظ، والتبكيت وغيرها[(٥)]، وقد استخدم هذا الأسلوب في غير ما موضوع قبحه القرآن، وعلى رأس ذلك الشرك حيث تبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فقد قبح القرآن عبادة الأصنام بجعله فاحشة والفاحشة: الفعلة المتناهية في القبح.

والشاهد هاهنا في همزة الاستفهام التي جاءت **(لإنكار الواقع واستقباحه**، وتوجيهُ الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى؛ **مبالغة في إنكار تلك الصورة**، فإن إسناد ما لم يعلم صدوره عنه تعالى إليه تعالى إذا كان منكرًا؛ فإسناد **ما علم عدم صدوره عنه إليه عز وجل أشد قبحًا وأحق بالإنكار)**[(٦)].

وكما كان التقبيح للقائلين على الله ما لا يعلمون، جاء كذلك التقبيح للقتلة الذين يستحلون دم من يقول على الله ما بعلم! فجاء مرة للقول ومرة للفعل، وذلك في إنكار الله تعالى على الصادين عن سبيله المستحلين قتل من يدعو إلى الإيمان به عند قوله تعالى على

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص١٤٧

(٢) **«علم المعاني د. عبدالعزيز عتيق» (ص٨٠)**

(٣) ينظر «الخصائص» (١٧٩/٢، ٢٦٤)، «المحتسب» (١٩٤/٢).

(٤) ينظر «المحتسب» (١٩٤/٢).

(٥) ينظر «الخصائص» (١٧٩/٢، ٤٦٤، ٤٦٥) و(٢٦٣/٣، ٢٦٤).

(٦) «إرشاد العقل السليم» (٢٢٣/٣).

لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨] فهو يفظع ما يفعلون ويستقبح ويستبشع هذا الموقف باستخدام أسلوب الاستفهام: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب واقتناع نفس، تستحق القتل ويرد عليها بإزهاق روح؟ (**إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة**)[١].

والاستفهام هاهنا استفهام إنكار؛ **أي**: (**يقبح بكم أن تقتلوا نفسًا؛ لأنه يقول: ربي الله**؛ أي: ولم يجبركم على أن تؤمنوا به، ولكنه قال لكم قولًا، فاقبلوه أو ارفضوه)[٢].

ومما يستقبح في عملهم: قتلهم لرجل كامل في الرجولة عظيم، وأن عدوانهم عليه بسبب دعوته لهم إلى التوحيد! فإنه لما رآهم قد عزموا على القتل عزمًا قويًا؛ أوقع عليه اسم القتل، وأثبت له صفة الرجولة الكاملة وأنكر عليهم قتلهم له لمجرد دعوته إياهم إلى الإيمان، وذكرهم بأن الذي يدعوهم إليه هو ربهم ومربيهم[٣].

وإذا كان هؤلاء المشركون والكفرة والصادون إنما يمنعهم من الإيمان فيما يمنعهم جمود فكرهم وعقليتهم الفاسدة فقد أنكر الله عليهم بالطريقة نفسها وبالأسلوب نفسه ففي قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. فقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ يرد الله عليهم مقالتهم المشبعة بالغباء، (والهمزة **لإنكار الواقع واستقباحه** والتعجيب منه، لا لإنكار الوقوع)[٤].

فواو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام وهي التي انتقلت من معنى الاستفهام إلى معنى التوبيخ والتقريع (**لأنها تقتضي الإقرار بشيء يكون الإقرار به فضيحة**، كما يقتضي

(١) «في ظلال القرآن» (٣٠٧٩/٥).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٢٨/٢٤).

(٣) «نظم الدرر» (٥٠٦/٦).

(٤) «إرشاد العقل السليم» (١٨٨/١).

الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه). وعقب القرآن ذلك على النهي عن اتباع وساوس الشيطان؛ لأنه لا فرق بينهما من حيث النتيجة!(١).

وأولئك الصادون المتبعون لآبائهم أو المتبعون لوساوس الشيطان يذمهم القرآن ويقبح أفعالهم في موضع آخر بالطريقة نفسها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩-١٠]

وقد جاء التقبيح والتشنيع لحال هذا الصاد وإيذان ( **بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب**)(٢).

وللتنكير هاهنا قيمة بلاغية عالية تدخل في إطار التقبيح: تقبيح صد العبد عن خدمة سيده، فعبر بالعبودية مع التنكير (**للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال العبودية**: ﴿عَبْدًا﴾أي: من العبيد، ﴿ إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ أي: خدم سيده الذي لا يقدر أحد أن ينكر سيادته)(٣) ولا صلة للعبد بسيده إلا بالصلاة التي هي من أجل العبادات فكان نهيه عنها نهيًا عن مجمع الكمالات والفضائل.

وإذا كان المشركون مستحقين تقبيح حالهم لجمودهم وتحجرهم وتبعيتهم آباءهم ووساوس الشيطان، فإن أهل الكتاب لهم نصيب من الذم والتقبيح ولكن لا على سبيل الاستفهام – الذي هو من فروع الإنشاء– كما مر، وإنما على سبيل فرع آخر من فروعه وهو النداء حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

فهو هاهنا يناديهم مخاطبًا إياهم باسم يجب لمن حمله ان يكون أسرع الناس إلى الإيمان لا أن يلحق بأصحاب العقول المتحجرة إذ بين يديه هدى يرشده ودليل يدله وهو الكتاب! ولذا خاطبهم بـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (**مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها**)(٤).

(١) «مفاتيح الغيب» (٦/٥).

(٢) «إرشاد العقل السليم» (١٧٩/٩).

(٣) «نظم الدرر» (٤٧٨/٨).

(٤) «التسهيل لعلوم التنزيل» (٦٣/٢)، وينظر «روح المعاني» (١٤/٤).

ولأن الله تعالى قادر على إهلاكهم جميعًا واستئصال شأفتهم جميعًا فقد جاء البيان القرآني مبينًا عاقبتهم بقوله: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام ٤٥]. وهذه (**مبالغة عظيمة في تقبيح صورتهم** حيث أتبع النهي عن الدعاء لهم الأمر بالحمد على إهلاكهم والنجاة منهم)[1]، والدعاء على أمثالهم بقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ]التوبة: ٣٠] (يتضمن ذمهم **وتقبيح أحوالهم**، فكيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره)[2]. وهكذا أدى الإنشاء دورًا عظيمًا في تقبيح الصورة المراد تقبيحها، وقد جاء بطرائق متعددة وما ذكرته منها إنما هو ما رأيته من نص المفسرين على إرادته التقبيح، كما اتضح هاهنا تضافر فروع علم المعاني في بيان الصورة، إنه تصوير لمشهد متكامل حقق الهدف المراد منه أبلغ تحقيق عندما جعلنا ننفر من تلك المعصية.

* *

## المبحث الثاني: الإطناب وتصويره للقبيح

الإطناب في لسان العرب (المبالغة في مدح أو ذم والإكثار منه)[3] وهو في المصطلح البلاغي: (زيادة اللفظ على المعنى لفائدة)[4]، وقد كانت العرب تطيل ليسمع منها وتوجز ليحفظ عنها، وليس الإطناب هو التطويل الذي يكون زيادة لفظية لا فائدة منها، (فالإطناب بلاغة والتطويل عِيٌّ)[5]، وله أقسام ذكرها القزويني[6]، ولن أعرض لها وفق تقسيماته وإنما ما ظهر لي من الآيات مما نص عليه المفسرون على أن الإطناب فيه جاء للتقبيح ومما جاء بهذا:

### المطلب الأول: التكرار:

(١) «مفاتيح الغيب» (٨٣/٢٣).

(٢) «التسهيل لعلوم التنزيل» (١٢٢/٤).

(٣) لسان العرب: (مادة طنب)

(٤) المثل السائر ( ٢، ٣٤٤)

(٥) الصناعتين لأبي هلال العسكري ( ٢١٠-٢١١)

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة (٣٠١)

إن لفظة «التكرار» ومشتقاتها تدور في اللغة حول معنى الرجوع إلى الشيء مرة أخرى، أو الإتيان به مرة بعد مرة(١).

والتكرار أسلوب عربي بديع جدًا وله دور أيما دور في تقبيح الأشياء وليس في تعظيمها فحسب فإن: (**العرب متى أرادت التنبيه على تقبيح شيء أو تعظيمه، كررته**)(٢).

فالتكرار في اللغة أصله من الكر بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فـ(كرر الشيء وكرره)؛ أي: أعاده مرة بعد أخرى٣.

**وفي الاصطلاح**: تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما؛ كالتوكيد أو الانتباه أو التهويل أو التعظيم(٤)، يقول ابن تيمية: (وليس في القرآن تكرار محض، بل لا بد من فوائد في كل خطاب)(٥).

والتكرار قد يكون تكرار الأداة، أو تكرار الكلمة، أو تكرار الفاصلة، أو تكرار القصة، أو تكرار اللفظ والمعنى، أو تكرار المعنى فقط، وهو عند القزويني - رحمه الله- من الإطناب(٦)، وقد قبح الله به أفعال اليهود والمنافقين والفراعنة والظلمة والمثليين فعن اليهود **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]. **والسحت**: ما قبح من المكاسب، وقد ذكر القرآن تحريف هؤلاء ثم ذكر أثره فقال (**مكررًا لوصفهم زيادة في توبيخهم وتقبيح شأنهم**: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ أي: هم في غاية الشهوة والانهماك في سماعهم ذلك ﴿أَكَّٰلُونَ﴾ أي: على وجه المبالغة ﴿لِلسُّحۡتِ﴾ أي: الحرام الذي يسحت البركة أي يستأصلها، وهو كل ما لا يحل كسبه، وذلك أخذهم

(١) ينظر «العين» (٥/٢٧٧)، «التعريفات» (١/٩٠).

(٢) «البحر المحيط» (١/٤٩٤).

(٣) لسان العرب (كرر).

(٤) ينظر «أسرار التكرار في لغة القرآن» للدكتور شيخون (ص ١١ وما بعدها).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٤/٤٠٨).

(٦) ينظر «الإيضاح» للقزويني (ص ١٨٨).

الرشى ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه وغيره من كلام الله)(١).

وعن المنافقين **قَالَ تَعَالَى**: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤]، والقرآن هنا يعدد قبائح المنافقين كما هو ظاهر الآية في إتيانهم الصلاة وهم كسالى، وإيتائهم النفقة وهم كارهون، فهم يتكاسلون عن أداء الصلاة ولا يرجون من صلاتهم أجرًا ولا من تركها لهم وزرًا، كما أنهم لا ينفقون إلا كارهين للإنفاق غير راجين من خلاله أجرًا، فهم – على كثرة قبائحهم– فإنهم في العبادات البدنية والعبادات المالية المطلوبة في الدين لا يأتونها إلا كارهين (**وتعداد القبائح يزيد الموصوف بها ذمًا وتقبيحًا**)(٢).

وكما ذم القرآن اليهود في هذا الموضع عن طريق التكرار فقد ذم الفراعنة بأسلوب التضعيف الداخل في أسلوب التكرار كذلك، وذلك في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى**:﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

فإذا كان قد عبَّر عن الذبح بالفعل المضارع المضعَّف، فهذا ما يفيد من حيث البلاغة أن حدوث هذا الذبح كان يتجدد مرة بعد مرة، بمعنى أنه كلما ولد مولود ذكر من بني إسرائيل كان يذبحه . كما أن من فوائد التضعيف إفادة التكثير، أو المبالغة في هذا الفعل وهو ما ذكره ابن عطية رحمه الله حين قال: ﴿يُذَبِّحُ﴾ مضعف للمبالغة، والعبارة عن تكرار الفعل)(٣).

ويعود بيان للتقبيح إلى وجهين: أولاهما: التكرار، وثانيهما: استخدام أسلوب: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٤] فبين سبحانه الاستضعاف بقوله: ﴿يُذَبِّحُ﴾أي: تذبيحًا كثيرًا

(١) «نظم الدرر» (٢/٤٥٤).

(٢) «البحر المحيط» (٥/٤٣٥).

(٣) ينظر «المحرر الوجيز» (١١/٢٦٠).

٤ (كان) في القرآن على خمسة أوجه:

١– بمعنى الأوَّل والأبد، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧]. =

﴿أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ أي عند الولادة، موكلًا من يتقصى أخبار الحوامل من النساء ومن تضع منهن مولودها ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ فيبقي على حياتهن!

(ولما كان هذا أمرًا متناهيًا في الشناعة، ليس مأمورًا به من جهة شرع ما، ولا له فائدة أصلا، لأن القدر – على تقدير صدق من أخبره – لا يرده الحذر، **قال تعالى مبينًا لقبحه،** شارحًا لها أفهمه ذلك من حاله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ﴾ أي كونًا راسخًا ﴿مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾أي: الذين لهم عراقة في هذا الوصف)[1]. فإن (قولك: فلان من العلماء، أبلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنَّك تشهد له بكونه معدودًا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم)[2].فهذا الخبر بهذه الصيغة أدل على تمكن الوصف مما لو قال: إنه كان مفسدًا، إذ لفعل الكون إفادة تمكن خبر الفعل من اسمه، كما في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧] **(فحصل تأكيد لمعنى تمكن الإفساد من فرعون، ذلك أن فعله هذا اشتمل على مفاسد عظيمة)**[3]. وقال الخفاجي: «إنّ أصل هذا لابن جنّي»[4].

والظلم بكافة أشكاله مستقبح في القرآن حيث يقبح القرآن أفعال الظلمة عن طريق الإطناب والتكرار كما **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]. ففي تكرير ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (زيادة

=

٢- الماضي المنقطع، قال تعالى: وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٍ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النمل: ٤٨].

-٣ الحال، قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤- الاستقبال، قال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

٥- بمعنى صار، قال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. «إعراب القرآن وبيانه» ١٠ / ٣١٨

(١) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ر» (٧٥٦/٥)

(٢) «الكشاف» (٣٣٦/٣).

(٣) «التحرير والتنوير» (٦٨/٢٠). وانظر: «الكشاف» (٣٣١/٣). «الكشاف» (٢٩/٢). «التحرير والتنوير» (١٣٠/٦).

(٤) «عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي» (&).

في تقبيح أمرهم، وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم)[١].

كما جاء التقبيح من خلال (**وضع المظهر موضع الضمير؛ مبالغة في تقبيح أمرهم**)[٢]، فهو هاهنا يكرر للتأكيد ولبيان أن الظلم أعم فوصفهم بالظلم، ثم وصفهم بالفسق.

ومن المعاصي والآثام الشنيعة الفاحشة التي ذمها القرآن بهذه الطريقة فاحشة قوم لوط، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤-٥٥]. فالقرآن ينعى عليهم هذا الفعل وينعى عليهم أنهم يفعلونها مع علمهم بقبحها ويكرر توبيخه لهم بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ و (**الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وكرر التوبيخ زيادة في التقبيح**)[٣].

ومصير الظلمة كذلك ومن لف لفهم من العصاة تقبيح حالهم **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]. وهنا يدعو عليهم و(**تكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويلٌ لأمرهم، وتفظيعٌ له**،) وهو دعاء عليهم بعد هلاكهم ونظيره قول الشاعر:

إِخْوَتِي لاَ تَبْعَدُوا أبدًا　　　وَبَلَى وَاللهِ قَدْ بَعِدُوا[٤]

فهو دعاء عليهم بالهلاك مع أنهم هالكون، والبعد والبعاد: اللعن، واللام للبيان، كما في قولهم: سقيًا لك، (وتكرير حرف التنبيه **وإعادة** «**عاد**»؛ **للمبالغة في تفظيع حالهم**، والحث

(١) «الكشاف» (١/١٧٢)، وينظر «مفاتيح الغيب» (٣/٨٥).

(٢) «روح المعاني» (١/٢٦٧).

(٣) «إعراب القرآن الكريم وبيانه» لمحيي الدين الدرويش، دار اليمامة - دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م (٧/٢٣٠-٢٣١).

(٤) «الكشاف» (٢/٣٨٣)، وينظر «مفاتيح الغيب» (١٨/١٤)، والبيت لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية كما في «ديوان الحماسة» مع شرحه للتبريزي (١/٣٧٨)، وهو في «الأغاني» (١/٣٠٥)، ومن شواهد «مغني اللبيب» (١/٢٦٢) (٣٦١).

على الاعتبار بقصتهم)(١).

وهذه المعاصي التي سلفت جميعها وإن كانت قد ذكرت في عدة مواضع في القرآن الكريم لكن أن يأتي ذمها من خلال فرع من فروع علم المعاني وهو التكرار بعدة أنواع وهو الذي يكون تكرار الأداة أحيانًا ، أو تكرار الكلمة، أو تكرار الفاصلة، أو تكرار القصة، أو تكرار اللفظ والمعنى، أو تكرار المعنى فقط هاهنا فهذا مما يحسن الوقوف عليه والتنبه إليه.

**المطلب الثاني: الاعتراض:**

الاعتراض من أقسام الإطناب، والإطناب للتقبيح(٢) ، وقد جاء في القرآن مصورًا الكفر والمكر والمسارعة في الإثم والعدوان وغير ذلك٣ فمن تصويره الكفر قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]. فقد جاءت ﴿ما﴾ هنا مزيدة للمبالغة؛ أي: فإيمانًا قليلًا يؤمنون، وهو إيمانهم ببعض الكتاب، وقيل: فزمانًا قليلًا يؤمنون، وهو ما قالوا: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢ ]، وكلاهما ليس بإيمان حقيقة، **(والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين.**(٤).

وفي معترضة أخرى شنع الله تعالى على من كفر به فجعل له ولدًا بقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] ٥.

كما جعل الله للذين لا يؤمنون به مثل السوء: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]. وهذا السوء الذي هو **(كالمثل في القبح**، وهي الحاجة إلى الولد؛ ليقوم مقامهم عند موتهم، وإيثار الذكور؛ للاستظهار بهم،

(١) «روح المعاني» (١٢/٨٧)، وينظر «إرشاد العقل السليم» (٤/٢٢٠).

(٢) «البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها» (&).

٣ تحدث ابن عاشور في مقدمة تفسيره عن الإطناب، وبيَّن فائدته، فقال: "تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك؛ فإن كل جملة تشتمل على حكمة، وإرشاد، أو تقويم معوج"، وأتى ببعض الأمثلة على ذلك .

(٤) «إرشاد العقل السليم» (١/١٢٨).

(٥) «البرهان» ( ٣. ١٦٣)

ووأد البنات؛ لدفع العار وخشية الإملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ، **ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة)**[١].

وتدخل كلمة المثل هنا في صورة التقبيح، حيث يأتي قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾ شتمًا لهم، (**والمَثَل: الحال العجيبة في الحسن والقبح**، وإضافته إلى السوء للبيان)[٢].

كما شنع القرآن على من يسارع في الإثم والعدوان وأكل الحرام بقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢].

ففي أول الآية تقبيح بتصوير المسارعة: (والمسارعة مفاعلة تصور القوم كأنما يتسابقون تسابقًا في الإثم والعدوان، وأكل الحرام، وهي **صورة ترسم للتبشيع والتشنيع**، ولكنها تصور حالة من حالات النفوس والجماعات حين يستشري فيها الفساد، وتسقط القيم، ويسيطر الشر)[٣].

وفي وسطها استخدام لفظ السحت وهو القبيح؛ فالسحت (أي: الحرام، خصّه بالذكر مع اندراجه في الإثم **للمبالغة في التقبيح)**[٤].

وفي نهايتها تذييل قصد منه التقبيح؛ وذلك في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾وهذا (**تقبيح لسوء أعمالهم** وتعجيب منه بالتوكيد القسمي)[٥].

فإن الحرام يأتي على البركة فيستأصلها ويمحقها، وهذا دليل على كفرهم، فكيف يصرون عليه؟ بل ويسارعون إليه؟ (ولذلك استحقوا غاية الذم بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾،

(١) «إرشاد العقل السليم» (١٢٢/٥)، «روح المعاني» (١٧٠/١٤).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٨٦/١٤).

(٣) «في ظلال القرآن» (٩٢٨/٢).

(٤) «إرشاد العقل السليم» (٥٧/٣)، «روح المعاني» (١٧٩/٦).

(٥) «إرشاد العقل السليم» (٧٠/٣)، «روح المعاني» (٩٦/٥).

والسحت يشمل جميع المال الحرام؛ كالربا، والرّشوة، وأكل مال اليتيم والمغصوب)(١).

وثمة صفة أخرى قبحها القرآن بطريق الاعتراض حين تكلم عن صفة من صفات الأعراب فقال **تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٩٨]؛ حيث دعا عليهم بأن تدور عليهم دوائر السوء ، ففي قوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ وصف الدائرة في معرض الدعاء عليهم بالسوء فهو **(دعاء معترض**، دعى عليهم بنحو ما دعوا به؛ كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقرئ: ﴿ٱلسُّوٓءِ﴾ بالضم؛ وهو العذاب، كما قيل له: سيئة، و﴿ٱلسَّوۡءِ﴾بالفتح؛ وهو ذمّ للدائرة؛ كقولك: رجل سوء، في نقيض قولك: رجل صدق؛ لأنّ مَن دارت عليه ذامّ لها)(٢)، وقد نص أبو السعود على التقبيح في هذه الآية بقوله: (وفيها كذلك ﴿ٱلسُّوٓءِ﴾، **وهي بمعنى القبح**، فيقال في القبح: رجل سوء وعمل سوء، **والسوأة: الخلة القبيحة**، وساء سوءًا: قبح)(٣).

وفي ختام مطاف تصوير القرآن للقبيح عن طريق الاعتراض أختم بمثال بين فيه أبو السعود هذه الغاية من الاعتراض في تفسيره قوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨] بأنه **(كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم** والتعجيب من كمال غباوتهم)(٤).

ويظهر هنا معنى التحقير حين قال: (منكرًا عليهم: ﴿فَمَا﴾ وحقرهم بقوله: ﴿هؤلاء﴾ وكأنه قال: ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ الذي هو دال على القيام والكفاية، إما تهكمًا بهم، وإما نسبة لهم إلى قوة الأبدان وضعف المكان ﴿لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ﴾ لا يقربون من أن يفهموا ﴿حَدِيثٗا﴾ أي:

(١) «نظم الدرر» (٤٩٤/٢).

(٢) «الكشاف» (٢٨٩/٢)، وضمُّ السين في ﴿ٱلسُّوٓءِ﴾قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والفتح قراءة الباقين، ينظر «النشر» (٢١٠/٢).

(٣) «إرشاد العقل السليم» (٩٦/٤).

(٤) «إرشاد العقل السليم» (٢٠٥/٢).

يلقي إليهم أصلًا فهمًا جيدًا)(١).

**المطلب الثالث: الإظهار والإضمار** وكان الزركشي -رحمه الله- من الدارسين القدامى المعنيين بالإظهار والإضمار، حيث قسمه إلى سبعة عشر بابًا، وقال: (والعجيب أن البيانيين لم يذكروه في أقسام الإطناب)(٢)، وقد ذكره السيوطي في باب الإيجاز والإطناب(٣).

ويكون وضع المظهر مكان المضمر لزيادة التقرير والتمكين، وقصد التفخيم والتعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، وقصد تقوية داعية المأمور، وقصد العموم، وقصد الخصوص، وقصد تربية المهابة، وزيادة التقبيح، وقد جاء في القرآن لتصوير غير ما فكرة منها الإشراك الذي لم أجد وسيلة من وسائل الذم إلا اقترنت بهذا المعنى ما يستدعي إفراد دراسة عن طرق ذم القرآن للشرك بالأساليب البلاغية.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. (استئناف مشعر بتعليل عدم غفران الشرك، **وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لإدخال الروعة وزيادة تقبيح الإشراك وتفظيع حال من يتصف به**؛ أي: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ تعالى الجامع لجميع صفات الكمال من الجمال والجلال أيَّ شركٍ كان ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ (٤). وكفر الكفرة وإصرارهم على الباطل مما يستدعي الضجر منهم فقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، لذلك فقد تضجر عليه السلام من إصرارهم على الباطل البين، **(وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لمزيد استقباح ما فعلوا**، و﴿أُفّٖ﴾: صوت المتضجر، **ومعناه: قبحًا ونتنًا**، واللام: لبيان المتأفف له، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: ألا تتفكرون

(١) «نظم الدرر» (٢/٢٨٣).

(٢) «البرهان في علوم القرآن» لأبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ (٢/٤٨٢).

(٣) «الإتقان في علوم القرآن» (٢/١٩٢)، وهو عنده النوع الثالث عشر من الإطناب، وقد ذكر أن لابن الصائغ فيه تأليفًا مفردًا.

(٤) «روح المعاني» (٥/٥٣).

**فلا تعقلون قبح صنيعكم**)[1].

وثمة تقبيح وتبكيت آخر وارد في السياق حين استأنف تبكيتهم: (**بأعلى كلمات التحقير التي لا تقال إلا لما هو غاية في القذارة**، فقال: ﴿أُفٍّ﴾ أي: تقذر وتحقير مني، ثم خص ذلك بهم بقوله: ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولما كانت على وجه الإشراك، وكانت جميع الرتب تحت رتبته تعالى، وكانت أصنامهم هذه في رتب منها سافلة جدًا؛ أثبت الجار فقال: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الملك الأعلى؛ لدناءتكم وقذارتكم.

ولما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل؛ أنكر عليهم ووبخهم على ترك الفكر تنبيهًا على أن فساد ما هم عليه يدرك ببديه العقل، فقال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور وحنكتكم التجارِب)[2].

وإذا كان الشرك ظلمًا وأي ظلم، فإن الخوض في آيات الله ظلم قبحه القرآن بالطريقة نفسها ونهى عن الجلوس مع القوم الظالمين[3]. وانظر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] فإن القوم الظالمين هم الذين يخوضون في آيات الله، (**فهذا من الإظهار في مقام الإضمار؛ لزيادة فائدة وصفهم بالظلم، فيعلم أنّ خوضهم في آيات الله ظلم**، فيعلم أنَّه خوض إنكار للحقّ ومكابرة للمشاهدة)[4].

والظلم قد تم تقبيحه بوضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، ففي هذه الآية (**وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في تقبيح أمرهم**، وإشعارًا بأنّ

(١) «إرشاد العقل السليم» (٦/٧٦)، «التحرير والتنوير» (١٧/١٠٤).

(٢) «نظم الدرر» (٥/٩٣).

(٣) (الخوض: هو الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار في الأمور، وأكثر ما ورد في القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه، وتقول: أخضت دابتي في الماء، وتخاوضوا في الحديث: تفاوضوا «مفردات ألفاظ القرآن» (ص ٣٠٢) مادة (خ و ض).

(٤) «التحرير والتنوير» (٧/٢٩٢).

إنزال الرجز عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه، أو على أنفسهم بأنهم تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها)(١).

لكن الزركشي عدّ هذه الآية من التنبيه على علة الحكم، ولم يذكرها في معنى التقبيح والتشنيع(٢)، ولكن هذا لا يبعد أن تحمل هذا المعنى ولا سيما أن العلماء الذين سلف ذكرهم وسلفت النقول عنهم قد وضعوا المسألة في إطار التقبيح، كما أن علة هذا الحكم التي هي الظلم قبيحة في حد ذاتها.

* * *

## المبحث الثالث: علاقة التقديم والتأخير بتصوير القبيح

للتقديم والتأخير أسباب عدة يقتضيها المقام ومقتضى الحال، وإنما يقدِّم العرب ما هم ببيانه أعنى، ولا يقدم القرآن ما يقدم، أو يؤخر ما يؤخر أو يدع ما حقه التقديم مقدمًا ولا ما حقه التأخير مؤخرًا إلا لغاية من الغايات علمها من علمها وجهلها من جهلها، فأسلوب التقديم والتأخير في القرآن (باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان)[٣]ويتحدث الزركشي عن أسلوب التقديم والتأخير في لسان العرب، ويعتبر أن القول في التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق .وقد أوصل السيوطي رحمه الله في إتقانه أنواع التقديم والتأخير إلى عشرة أنواع، وفي أثناء كلام المفسرين ما يفيد أن التقديم والتأخير يكون للتقبيح ومنه **تصوير قبيح العداوة مع الله** في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، فهو يقدم ما هو أشد قبحًا، وقد ذكر المقابلة هنا بين ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ **(فيه إبراز صورة**

(١) «السراج المنير» (١/٧٢).

(٢) «البرهان» (٢/٤٩٣).

(٣) «دلائل الإعجاز» (ص ٨٣)

**الحال وتقبيح الفعل)** لأن العداوة تتنافى مع الموالاة والمسارة للعدو بالمودة، والذي يظهر من مسألة التقديم والتأخير: **أن التقديم لغرض شرعي وبلاغي؛ وهو أن عداوة العبد لله هي الأصل، وهي أشد قبحًا، فلذا قدمت، وقبحها في أنهم عبدوا غير خالقهم،** وشكروا غير رازقهم، وكذبوا رسل ربهم وآذوهم)[1].

كما جاء **تصوير قبيح الإشراك بالله عن طريق التقديم والتأخير في قوله تعالى:** **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فإنه **(لمَّا كان الشرك في غاية الفظاعة والشناعة؛ قدمه** فقال: ﴿شُرَكَآءَ﴾ يعني: وما كان ينبغي أن يكون له شريك مطلقًا)[2].

وكما جاء تقبيح الشرك بتقديم المفعول الأول على الثاني **فقد صور القرآن قبيح الفواحش بقوله** تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]. لكن عن طريق تقديم الصفة على الموصوف؛ فمقتضى الظاهر أن يكون ترتيب الجملة: «سبيلًا سيئًا»، لكنه عدل وقدم للتأكيد من أول وهلة أنها سبيل سيئة؛ **(تقبيحًا لهذه الفاحشة وتبشيعًا لها).**

ولعل هذا المثال من أمثل الأمثلة على وضوح القبح بأنواعه الشرعي، والعقلي، والعرفي على ما قاله الفخر الرازي في «تفسيره»؛ إذ جعله على مراتب، وجعلها جميعًا ممثلة في هذه الآية، فقال: **(واعلم أن مراتب القبح ثلاثة: القبح في العقول، وفي الشرائع، وفي العادات؛** فقوله: ﴿فَٰحِشَةٗ﴾ إشارة إلى القبح العقلي، وقوله: ﴿وَمَقۡتٗا﴾ إشارة إلى القبح الشرعي، وقوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ **إشارة إلى القبح في العرف والعادة،** ومتى اجتمعت فيه هذه الوجوه؛ فقد **بلغ الغاية في القبح** والله أعلم)[3].

ففي هذه الآية أخبر عن نكاح حلائل الآباء بأنه فاحشة ومقت، مؤكِّدًا الخبر بحرف

(١) «أضواء البيان» (٨/٨٠) بتصرف يسير.

(٢) «نظم الدرر» (٢/٦٨٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٠/٢١).

(إنّ) مع ما له من رونقٍ وحُسنٍ وجمالِ إيقاع: ﴿كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ ، والفصلُ لأن الجملة تعليل للنهي السابق في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ .

ولمجيء ﴿كان﴾ هنا غاية تتصل بالمعنى، وليس زائدًا، قال أبو حيان: («كان» يستعمل كثيرًا بمعنى «لم يزل»، فالمعنى أن ذلك لم يزل فاحشة، **بل هو متصف بالفُحش في الماضي والحال والمستقبل، فالفحش وصف لازم له**، وقال المبرِّد: هي زائدة، ورُدَّ عليه بوجود الخبر؛ إذ الزائدة لا خبر لها، وينبغي أن يُتأول كلامه على أن «كان» لا يُراد بها تقييد الخبر بالزمن الماضي فقط، فجَعَلها زائدة بهذا الاعتبار)[1].

**وزيادة في التنفير من هذا الأمر جاء بلفظتي ﴿فَاحِشَةً﴾ و﴿وَمَقْتًا﴾ نكرتين؛ للتهويل، مع ما فيهما من معنى التناهي في الفحش والبغض، فالفاحشة: ما عَظُمَ قبحه من الأفعال والأقوال، كما في «المفردات»**[2]**، والمقت: أشدُّ من البغض، فهو بغض مقرون باستحقار، فهو أخصّ منه، كما في «عمدة الحفاظ»**[3]، كما أن ﴿وَمَقْتًا﴾ مصدر، فكأنه المقت نفسه.

و"في ﴿وَسَآءَ﴾ قولان: أحدهما: أنها جارية مجرى (بئس) في الذمّ والعمل، ففيها ضميرٌ مبهمٌ يفسره ما بعده، وهو ﴿سَبِيلًا﴾، والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: (وساء سبيلًا سبيلُ هذا النكاح)، كقوله: (بئس الشراب) أي: ذلك الماء"[4]، وقال الشهاب في «حاشيته»: **(وذمُّ الطريق مبالغةٌ في ذمّ سالكها وكناية عنه)**[5].

"والثاني: أنها لا تجري مجرى (بئس) في العمل، بل هي كسائر الأفعال، فيكون فيها ضميرٌ يعود على ما يعود عليه الضميرُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾، و﴿سَبِيلًا﴾ على كلا التقديرين تمييزٌ"[6].

(١) كما في «البحر المحيط» (٣/٥٧٦-٥٧٧).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص ٦٢٦) مادة (ف ح ش).
(٣) كما في «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، مادة (م ق ت).
(٤) كما في «الدر المصون» (٣/٦٣٨).
(٥) «عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي»، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (&).
(٦) كما في «الدر المصون» (٣/٦٣٨).

وقد جاء في سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وذكر قوله: ﴿وَمَقْتًا﴾هنا في سورة النساء، وحذفه في سورة الإسراء؛ (لأن نكاح حلائل الآباء يستوي مع الزنى في الفحش وسوء السبيل، **ويزيد عليه قبحًا بأن فاعله يُمقت وتستخسه الطباع السليمة، فوُسمت فعلته بالمقت**)[1].

وللتقديم والتأخير دور بديع في تصوير القبائح فإذا انتقلنا من تصوير قبيح الزنا إلى **تصوير قبيح السرقة** في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].نجد قول سيبويه والأخفش في قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ أنهما مرفوعان بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة؛ أي: حكمهما كذا، وتوجيه رأي سيبويه أن العرب يقدمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه أعنى، (**فالقراءة بالرفع تقتضي تقديم ذكر كونه سارقًا على ذكر وجوب القطع،** وهذا يقتضي أن يكون أكبر العناية مصروفًا إلى شرح ما يتعلق بحال السارق من حيث إنه سارق، وأما القراءة بالنصب؛ فإنها تقتضي أن تكون العناية ببيان القطع أتم من العناية بكونه سارقًا، ومعلوم أنه ليس كذلك؛ **فإن المقصود في هذه الآية بيان تقبيح السرقة والمبالغة في الزجر عنها، فثبت أن القراءة بالرفع هي المتعينة قطعًا**، والله أعلم)(٢).

وبأسلوب الاحتباك جاء التقبيح من خلال تقديم الأمر بالسعادة على النهي عن الفساد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

(والآية من الاحتباك: فإن ذكر الطاعة أولا هي دليل على المعصية ثانيًا، وإبطال العمل ثانيًا دليل على الصحة أولًا، **فإنه أمر بما لا تتحقق السعادة إلا به ونهى عن ما يؤول إليه الفساد ثانيًا؛ لأنه أعظم في النهي عن الفساد لما فيه من تقبيح صورته وهتك سريرته**) [3].

**إن هذه المعصية وسواها من المعاصي هي أعراض في الحقيقة لمرض واحد وجل**

---

١ كما في «ملاك التأويل» **لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٣م. ص ٣٤٠، ٣٤١.**

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٧٥/١١).

٣ «نظم الدرر» (١٧٧/٧).

**المعاصي إن لم نقل كلها تنشأ من مرض القلب الذي قبح الله صورته كذلك عن طريق التقديم والتأخير وذلك بقوله عن المنافقين:** ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٩-١٠]. (حيث قدم الظرف ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾ للاهتمام؛ لأن القلوب هي محل الفكرة في الخداع، فلما كان المسؤول عنه هو متعلقُها وأثرها؛ كان هو المهتم به في الجواب، فتقديم الخبر وهو شبه جملة جاء عناية بمحل استقرار المرض وهو القلوب؛ **لأنها مستقر الخداع ومبعث النفاق)**[1]

إن النفاق النابت في قلوب المنافقين كما الأصابع في الراحتين هو متأصل فيهم، متجذر فيهم، مستوطن فيهم، والمكان الذي يستوطنه النفاق ليس في عقولهم فحسب فإذا ما اقتنعوا بالدين رفضوا النفاق وهجروه بل هو آفة مستشرية في قلوبهم، ولو جئتهم بألف دليل وألف آية ما تركوا نفاقهم.

إن القلب هو موضع اهتمام الآية الكريمة، ونظير تلك العناية ورودها في موضع آخر من القرآن الكريم في سورة الأحزاب وذلك عند قوله تعالى في حديثه عن أقوال المنافقين: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢] فتجده هاهنا قد قدم الخبر كذلك عناية به، كما تجده من جانب آخر قد أجرى في المرض استعارة تشعر القارئ بمدى تأثيرها بما تحدثه كلمة المرض في نفسه، فإن كان قد اعتاد نوعًا من المرض يصيب جسده فيقوى فلا يستطيع حراكًا معه فإن هذا مرض من نوع آخر، نوع لا يتفطن له إلا من رزق قلبًا صافيًا، وإن كان للجسد آفات فإن أمراض القلب أشد ولا يظهر أثرها إلا بعد الموت!

إن التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ والعدول عن الترتيب في الجملة (يوحي بأن المرض قد أقام واستقر في هذه القلوب، فهو فيها ماكث ومقيم، وكأن هذه القلوب قد تمكنت من هذا المرض تمكن الوعاء مما فيه، فتقديم الخبر جاء للاهتمام بهذه

---

١ انظر: «التقديم والتأخير»، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م، ط١ (٢/٢٥٤، ٢٥٥).

الظرفية التي حرصت على ما فيها وحفظته وكأنها تأبى أن يغادرها) [1]. وبذلك يكون التقديم والتأخير قد أضاف معنى جديدًا إلى النص إضافة إلى المعنى الاستعاري زاد الصورة في عين القارئ تقبيحًا، وجعلت كل متلق يتحسس موضع القلب منه ليرى أفيه مرض أم لا؟ وإن كان فيه فهل استحكم حتى يوصم صاحبه بالنفاق أم ما زال عرضًا يمكنه علاجه؟

* * *

## المبحث الرابع: كيفية تصوير الحصر والقصر للقبيح

الحصر والقصر أسلوبان بلاغيان يحملان معنى واحدًا وإن كان أحدهما يدور في فلك والآخر في فلك، حيث لكل منهما أدوات وأساليب وطرق، وإعجاز القرآن فيهما لا ينحصر في هذه المعاني بل كلما اتضح سر من أسرارهما تبين أن هنالك سرًا آخر ينتظر الكشف عنه، وما يأتيان إلا لنكتة بلاغية ومعنى شريف، ومن هذه المعاني التي يأتيان بها معنى التقبيح. ففي معرض حديثه عن المنافقين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

وقد جاءت لفظة ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ معرفة بالألف واللام لتدل على كمال إفسادهم وبلوغه من الفساد مبلغًا يجعل ما سواه من الفساد بجنبه عدمًا (وقال الحرالي[2]: ولما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحًا؛ وجب أن يكون إضرارهم فيه إفسادًا، لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة ومع هؤلاء تارة من الحكمة والإصلاح، وهو عين الإفساد، لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة من الحكمة والإصلاح)[3].

ولو تناولنا فهم الآية من ناحية بلاغة الحصر والقصر وكيف كان لها تأثير في تقبيح أفعالهم نرى كيف أنهم (حصروا أنفسهم في الصلاح فرد الله عليهم بطريق من طرق القصر هو

(١) المصدر السابق (٢/٢٥٥).

(٢) هو الإمام المفسر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي التجيبي، أصله من حرالة من أعمال مرسية، ولد ونشأ في مراكش، وأخذ النحو عن ابن خروف، ولقي العلماء، قال الغبريني: ما من علم إلا له فيه تصنيف، وسكن وتوفي في حماة سنة (٦٣٧هـ) أو (٦٣٨هـ)، من كتبه: «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن»، ينظر «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٤٧)، «الأعلام» لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ١٩٩٧م (٤/٢٥٦).

(٣) «نظم الدرر» (١/٣٣).

أبلغ فيه من الطريق الذي قالوه؛ لأن تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند إليه، فيفيدُ قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ قصر الإفساد عليهم بحيث لا يوجد في غيرهم، وذلك ينفي حصرهم أنفسهم في الإصلاح وينقضه، وهو جار على قانون النقض، وعلى أسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس، وإن كان الرد قد يكفي فيه أن يقال: «إنهم مفسدون» بدون صيغة قصر، إلا أنه قُصِر؛ ليفيد ادعاءَ نفي الإفساد عن غيرهم، وقد يفيد ذلك أن المنافقين ليسوا ممن ينتظم في عداد المصلحين؛ لأن شأن المفسد عرفًا ألا يكون مصلحًا؛ إذ الإفساد هين الحصول، وإنما يصد عنه الوازع، فإذا خلع المرءُ عنه الوازعَ وأخذ في الإفساد؛ هان عليه الإفساد، ثم تكرر حتى يصبح سجية ودأبًا لا يكاد يفارق موصوفه.

وحرف ﴿ألا﴾ للتنبيه إعلانًا لوصفهم بالإفساد.

وقد أكّد قصر الفساد عليهم بضمير الفصل، ودخول «إنَّ» على الجملة، وقرنها بـ ﴿أَلَآ﴾ المفيدة للتنبيه، وذلك من الاهتمام بالخبر وتقويته دلالةً على سخط الله تعالى عليهم)(١).

وفي **تصوير القرآن لقبيح الإعراض** ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، ففي الكلام (إشارة إلى استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات، و«عن» متعلقة بـ ﴿مُعْرِضِينَ﴾ **قدمت عليه للحصر الادعائي مبالغة في تقبيح حالهم**)(٢).

**كما استخدم الحصر في القرآن الكريم لتصوير الإقبال على الغنائم وذلك في** قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالآية تدل على أن (كل نفس توفى ما عملت، فتوفى أنت أجرك على صبرك على أذاهم، وكذا من أطاعك، ويجازون هم على ما فرطوا في حقك، فيقذفون في غمرة النار،

(١) «التحرير والتنوير» (٢٨٥/١).

(٢) «روح المعاني» (٢٩/٢٣)، **والحصر الادعائي**: أن يتجاهل المتكلم أكثر الفاعلين ويحصر الفعل في معين مدعيًا الحقيقة؛ للفت النظر إلى امتياز ذلك الفاعل المعين. انظر: «هندسة الكلام د. إبراهيم الغنيم» ص١١٨.

**وكان الحصر إشارة إلى تقبيح إقبالهم على الغنيمة وغيرها من التوسع العاجل**؛ أي: إنما مقتضى الدين الذي دخلتم فيه هذا، وذلك ترهيبًا من الالتفات إلى تعجيل شيء من الأجر في الدنيا)(١).

وهكذا نرى كيف استخدم هذا الأسلوب البلاغي أسلوب الحصر والقصر لغرض بلاغي ومقصد عظيم من المقاصد التربوية وهو الذم والتقبيح، فأوفى على الغاية، وتبين من خلال هذا الأسلوب أن له من الدور المتفرد والبديع ما قد لا تقوم مقامه هنا وسيلة أخرى، والوسائل الأخرى لها أبواب أخرى كما سنجد في المبحث الخامس.

* * *

## المبحث الخامس: الالتفات ودوره في تصوير القبيح

انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة، ومن المخاطبة إلى الإخبار، وإخراج الكلام من أحد طرق التعبير الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة، إلى طريق آخر من هذه الطرق الثلاثة هو من بديع فنون الكلام عند العرب، وهو ما يدعونه (الالتفات)٢، وبه يتجدد نشاط السامع، كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه، (فكما يخالفون بين لون ولون وطعم وطعم، في أطعمتهم، كذلك يخالفون بين أسلوب وأسلوب في كلامهم)٣، وبعبارة مختصرة فإن (الالتفات) يقصد منه نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، كما يطلق عليه كذلك ( شجاعة العربية ) ذلك أن (الشجاعة هي الإقدام وذاك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره ... وكذلك هذا الالتفات في الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات)(٤).

وبالالتفات أراد القرآن أن يقبح صورة وقعت في الزمن الماضي فجاء بها إلى الزمن الحاضر؛ حتى كأنك تراها، من ذلك قوله تعالى مخاطبًا اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة، ٨٧]. فالآية هنا ذكرت ﴿كَذَّبْتُمْ﴾

(١) «نظم الدرر» (١٩١/٢).

(٢) «البديع» لابن المعتز (ص ٥٨).

(٣) مفتاح العلوم (٢٩٦).

(٤) المثل السائر: ٣/٢.

في حين جاء القتل بصيغة المضارع ﴿تَقْتُلُونَ﴾، ولو جاء بها على بابها لقال: (ففريقًا كذبتم وفريقًا قتلتم). ولكن السياق القرآني ينتقل بنا من الماضي إلى المضارع (لأن قتل الأنبياء أمر فظيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب)(١).

فأما التكذيب فقد وقع في الزمان وانتهى، وأما القتل فما زال مستحرًّا، وصورة فظاعته ما تزال عالقة بالنفس، ولكأنك ترى الدماء الآن أمامك!

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١]. حيث اقترن الفعل المضارع ﴿تَقْتُلُونَ﴾بظرف الزمان ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ الدال على الماضي، مما يجعل دلالة الفعل المضارع دلالة على الزمن الماضي،(والفعل الماضي ما تقضى وأتى عليه زمانان، لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبر فيه عنه)(٢).

وحين ينسب القتل إلى الأحفاد في حين أن القتلة هم الأجداد فإنه ينبه في الوقت نفسه على أنهم ذرية بعضها من بعض، وأنهم سواسية في الجرم، فعلى أيهم وضعت يدك؛ فقد وضعتها على الجاني الأثيم؛ لأنهم لا ينفكون عن الاستنان بسنة أسلافهم، أو الرضا عن أفاعيلهم، أو الانطواء على مثل مقاصدهم(٣).

وكانت وظيفة التعبير بالفعل المضارع في كل هذا (لغرض تصوير فظاعة الحدث وقبحه)٤.

ولو استعرضت تحولات الأفعال في السياق القرآني وجدت كثيرًا من الأفعال المضارعة تصور لك المشهد بقبحه، كما تقرأ في سورة الماعون مثلًا حيث تتوزع الأفعال على كامل السورة تقريبًا بداية من (يكذب) إلى (يدع) و(لا يحض) و(يراؤون) و(يمنعون) وكل هذه الأفعال تصور قبح ذلك الفعل، بل تكاد تسمع من تصويره للحدث عن طريق المضارع والتضعيف أحيانًا صوت ذلك المكذب وهو يدع اليتيم وصوت اليتيم وهو يئن تحت وطأة

(١) «الكشاف» (١/٢٩٥).

(٢) «الإيضاح في علل النحو» لأبي القاسم الزجاجي (ص ٨٧).

(٣) «النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن» (ص ١٥٤).

(٤) انظر «تحولات الأفعال في السياق القرآني»، د. عبد الله الهتاري (ص١٤) فهو بحث ماتع نافع.

الظلم، كما تكاد تراه وهو يفعل ذلك الفعل الذي يدل على نهاية الخسة، وهو يمنع ما لا يغنيه، وهكذا..

فما أروع رسم القرآن بالكلمات لأصحاب هذه الصفات! .. إنها ترسم الكافر بغيظه وغلاظته وقساوة قلبه وشدته على الضعفاء، وعدم رفقه بهم، كما ترسم حركته في دفعه لليتيم واضطرابه حتى كأنك ترى شخصه ماثلًا بين يديك بصورته المعنوية الشوهاء المنفرة لا بصورته التي يرائي فيها الناس.. لترى الفعل القبيح على شكله الحقيقي غير المزيف فتنكره بقلبك وعقلك! وهنا يضع القرآن قبائح الأعمال موضعها الصحيح في النفس لتخرج بالتصوير عن كونها مستحبات للنفوس في كنز المال وحب السيطرة والقهر إلى مظهر منفّر لا يستسيغه عقل ولا تصبر على رؤيته عينان، ولا أبدع من بداية السورة بعد ذلك وهي تقول لك: أرأيت؟

## المبحث السادس: دور الذكر والحذف في تصوير القبيح

باب الذكر والحذف من علوم المعاني التي صورت قبيح عمل المعاصي، وهو (باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ، وهذه جملة قد تُنكرها حتى تَخْبُر، وتدفعُها حتى تنظر)[1]، وبعيدًا عن شروطه وأنواعه وأقسامه ومظاهره فإن ما يعني هاهنا هو استخدام القرآن للحذف كطريقة من طرائق التقبيح، فقد أتى هذا من خلال حذف المفعولين في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

فقد حذف مفعولي زعم استبشاعًا لفعلتهم هذه، فالله تعالى يقول ﴿ قُلِ﴾ أي يا أعلم الخلق! بإقامة الأدلة لهؤلاء الذين أشركوا ما لا يشك في حقارته من له أدنى مسكة: ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي أنهم آلهة كما تدعون الله لا سيما في وقت الشدائد، (**وحذف مفعولي**

(١) «دلائل الإعجاز» (ص ١٤٦).

«زعم» **وهما ضميرهم وتألههم تنبيهًا على استهجان ذلك واستبشاعه،**[١]**.)** وقد بين وضاعتهم بقوله ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: الذي حاز جميع العظمة لشيء مما أثبته سبحانه لنفسه فليفعلوا شيئًا مثله أو يبطلوا شيئًا مما فعله سبحانه فهم لا يملكون ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ لا ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ﴿وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

كما استخدم أسلوب الحذف بغرض التقبيح في آية أخرى تنهى كذلك عن المعاصي ولكن بأسلوب من الحذف يسمى الاحتباك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

(**... ويكون في الكلام احتباك؛ إذ لم يذكر وصف الطّيب بعد نبات البلد الطّيب، ولم تذكر الأرض الخبيثة قبل ذكر النّبات الخبيث؛ لدلالة كِلا الضدّين على الآخر،** والتّقدير: والبلد الطّيب يخرج نباته طيّبًا بإذْن ربّه، **والنّبات الذي خبث يخرج نكدًا من البلد الخبيث،** وهذا صنع دقيق لا يهمل في الكلام البليغ)[٢].

(١) «نظم الدرر» (١٧٤/٦-١٧٥).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٨٤/٨).

**الخاتمة:**

أحمد الله على توفيقه، وبعد: فقد كانت هذه الوقفات عند الآيات كفيلة بأن تعرفنا الطريقة التطبيقية لهذا الفن الجليل على الآيات الحكيمة، كما عرفتنا أن هذه الغاية التربوية كانت حاضرة تمامًا في أذهان المفسرين.

وتبين من خلال البحث أن هذه الفروع من فروع علم المعاني كانت كلها ضمن الإطار القرآني الهادف إلى صقل النفس البشرية، وذلك من خلال بيان ما يعيبها لتتجنبه، ومن ثم لتنظر تلك النفس من خلال هذه الصورة القبيحة إلى تلك الصورة الجميلة التي يجب عليها أن تكون عليها، ولترى وهي تندفع إلى التفكير في سيئها عواقبها التي إذا ما جمعت إلى ما يراه الرائي أنه محاسن لها عادت محاسنها سيئات!!

إن التصوير الفني القرآني من خلال الكلمات والحروف تصوير لا يقل شأنًا عن التصوير المعروف للمتلقي من خلال التشبيه والاستعارات والكنايات، ولو تتبع باحث ما الجوانب القرآنية الأخرى كالحدود والكفارات والمعاملات والعبادات لرأى في كلٍ تصويرًا بديعًا، يحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويشوهه.

**النتائج والتوصيات:**

إن النتائج والتوصيات التي يخلص إليها البحث تتلخص في:

- أن علم المعاني هو من رحم إعجاز القرآن، وكما أن القرآن لا تنقضي عجائبه فكذلك العلوم المستنبطة منه لا تنقضي عجائبها، واستطاعة البحث توضيح العلاقة الوثقى بين علم النحو والبلاغة من خلال تصوير جزئية ما يدل على أن جزئيات أخرى أيضًا تنتظر من يشمر لها من الباحثين.

- وأن فروع علم المعاني تضافرت لبيان الصورة البديعة التي يقبح فيها القرآن معصية من المعاصي، فلم يكن فرع واحد فقط هو ما يفهم منه التقبيح بل لو تأمل باحث لوجد عدة أساليب يعضد بعضها بعضًا في تصوير المعنى الواحد المراد تقبيحه.

- المباشرة في الخطاب عند النهي أمر شائع في الأساليب العربية ولكن الانتقال من هذا الأسلوب المباشر في الأمر والنهي إلى أسلوب آخر وهو ما يفهم من دلالات الكلمة والسياق أمر في غاية الروعة وهو مدعاة للبحث والنظر.

- وأن المعاصي هي في نهاية القبح لو تأملناها حق التأمل، ولكن الطبيعة البشرية تنحو بها نحو التجميل والتحسين في حين أن النص القرآني يضعها في حاق موضعها من النفس والموضع الحق هو قبح هذا العمل.

- كما يجدر بالذكر أنه قلما وجدت وسيلة من وسائل الذم إلا وقد اقترنت بالشرك ما يستدعي إفراد دراسة عن طرق ذم القرآن للشرك بالأساليب البلاغية كلها.

## المصادر والمراجع


١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، محمد أبو صعيليك، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤. إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ١٩٩٧م.

٦. الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر، بيروت.ط١، ١٩٨٦م

٧. الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة. بيروت، ١٩٨٦م.

٨. الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٩. الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر الخطيب القزويني، تحقيق: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٠. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

١١. البديع عبد الله بن المعتز اعتنى بنشره والتعليق على مقدمته وفهارسه *اغناطيوس* كراتشكوفسكي، لندن، ط٣، ١٩٨٣م.

١٢. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا. لبنان، د.ت.

١٤. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٥. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دارسحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م.

١٦. تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، د. عبد الله الهتاري، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية، الصادرة عن جامعة العلوم والتكنولوجيا – اليمن، العدد (٢٢) ديسمبر ٢٠٠٦م.

١٧. التسهيل لعلوم التنزيل: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٨. التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٩. تفسير السراج المنير: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.

٢٠. التفسير الكبير فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢١. التقديم والتأخير جمالية التركيب: د. علي أبو القاسم عون، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٢. الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٣. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د. محمد أبو موسى

٢٤. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.

٢٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

٢٦. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٧. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين أبو الفضل محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٤م.

٣٠. شرح ديوان الحماسة: أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، دار القلم، بيروت.

٣١. الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٣٢. علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣

٣٣. عمدة الحفاظ، لأحمد بن يوسف، السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.

٣٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. عناية القاضي وكفاية الراضي حاشية على «تفسير البيضاوي»: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٣٦. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٧. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

٣٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود

بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.

٤٠. المثل السائر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت. ١٩٩٥م.

٤١. المحتسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود.عبد الحليم النجار، وغيرهما، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٤٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢.

٤٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

٤٤. مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٥. مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٦. مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٢م

٤٧. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: د. محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.